

## " تركيا والتحركات الروسية في سوريا"

عبد اللطيف حجازي\*

شكل التدخل العسكري الروسي في سوريا لدعم النظام السوري في مواجهة جماعات المعارضة المسلحة السورية منذ بداية شهر أكتوبر الماضي تحدياً للسياسة التركية تجاه سوريا وتقويضاً لأهدافها التي ترغب في تنفيذها بسوريا، وفي هذا الإطار نشر مركز ORSAM تقريراً بعنوان "التحركات الروسية في سوريا وتركيا"<sup>٧</sup>، تناول فيه طبيعة الدعم الروسي للنظام السوري، وأسباب التدخل الروسي في سوريا، ومدى فاعلية التدخل الروسي، ثم تداعيات هذا التدخل على السياسة التركية في سوريا.

### الدعم الروسي للنظام السوري:

دعمت روسيا النظام السوري برئاسة بشار الأسد منذ بداية الثورة السورية غير أن هذا الدعم تعاضم في الأسبوع الثاني من شهر سبتمبر بإنشاء روسيا قاعدة عسكرية في اللاذقية، وإرسالها مساعدات عسكرية للجيش السوري تضمنت طائرات حربية وطائرات هليكوبتر ودبابات بالإضافة إلى أنواع أخرى من الأسلحة الثقيلة، وصولاً إلى بدأ روسيا ضرباتها الجوية في سوريا منذ بداية شهر أكتوبر الماضي مستهدفة حمص وحماة واللاذقية بدعوى مساعدة النظام السوري في مواجهة الجماعات الإرهابية.

### أسباب التدخل الروسي في سوريا:

أشار التقرير لمجموعة من الأسباب التي دفعت روسيا للتدخل عسكرياً في سوريا والتي يمكن تناولها على النحو التالي:

١- جاء التدخل الروسي في سوريا عقب إعلان الأسد أنه يواجه صعوبة في إيجاد أشخاص للقتال ضمن صفوف الجيش، فضلاً عن المعارضة التي واجهها النظام في مناطق نفوذه حيث خرجت تظاهرات في مدينة اللاذقية مطالبة بمعاقبة سليمان الأسد أحد أقارب الرئيس السوري عقب قتله ضابط نتيجة مشاجرة بينهما حول أولوية المرور، وفي السويداء حيث الغالبية الدرزية

\* باحث بالمركز القومي لدراسات الشرق الأوسط.

<sup>7</sup> Oytun Orhan, "Russia's Move in Syria and Turkey", **Center for Middle Eastern Strategic Studies (ORSAM)**, 6 October 2015, available at: <http://www.orsam.org.tr/en/showArticle.aspx?ID=2902>

المؤيدة للنظام خرجت الاحتجاجات ضد النظام عقب مقتل زعيم درزي وقام المحتجون بمحاصرة المباني الحكومية بالمدينة وتدمير تمثال حافظ الأسد، يضاف إلى ذلك الانتصارات التي حققتها قوات المعارضة السورية في أدلب وما مثله ذلك من تهديد للاذقية أحد معاقل نظام الأسد الرئيسية.

٢- تستهدف روسيا من تدخلها أيضاً تغيير التوازن العسكري في سوريا لصالح نظام الأسد والذي كان على وشك خسارة قوته، ومساعدة النظام في إحكام سيطرته على حوالي ٣٠% من الأراضي السورية التي يسيطر عليها بالفعل منذ التدخل الروسي في أكتوبر ٢٠١٥ وذلك بتحجيم التهديدات بتلك المناطق ذات الكثافة السكانية العالية خاصة اللاذقية وإدلب التي كانت تحت ضغط شديد من قبل قوات المعارضة السورية، وهو ما انعكس في انشاء روسيا قاعدتها العسكرية باللاذقية.

٣- الحيلولة دون حدوث انشقاقات أو صراعات بداخل النظام السوري حال حدوث مزيد من التراجع في سيطرة النظام على الأرض، فضلاً عن إعطاء دفعة معنوية للنظام ومؤيديه لمواصلة القتال.

٤- حماية روسيا لمصالحها في منطقة الشرق الأوسط وسوريا من خلال استثمار فرصة دعم النظام السوري لزيادة وجودها العسكري في سوريا وبناء قاعدة عسكرية دائمة لها في منطقة شرق المتوسط، والسعي لإنشاء منطقة تحت تأثيرها المباشر في سوريا انطلاقاً من أن ذلك سيحمي مصالحها في منطقة الشرق الأوسط ويجعل لها نقطة انطلاق لتنفيذ سياساتها في المنطقة.

٥- محاربة المقاتلين القادمين من القوقاز إلى سوريا للقتال بجانب التنظيمات المتطرفة والذين قد يشكلون خطراً على الأمن القومي الروسي حال عودتهم لبلادهم مرة أخرى، ومن أمثلة التنظيمات التي تضم مقاتلين من القوقاز كتيبة الأمام البخاري والتي تضم مقاتلين من أوزباكستان وجيش المهاجرين والانصار والذي يضم مقاتلين من القوقاز جزء منهم يقاتل بجانب تنظيم داعش والأخر يقاتل بجانب جبهة النصرة.

**مدى فاعلية العمليات العسكرية الروسية في سوريا:**

شكك التقرير في فاعلية وقدرة العمليات العسكرية الروسية على إحداث تغييرات جوهرية على الأرض وتمكين النظام السوري من استعادة مساحات واسعة من الأراضي الواقعة تحت سيطرة المعارضة أو تنظيم داعش، واستند التقرير في ذلك إلى أن تنظيم داعش تمكن من زيادة مساحة الأراضي التي سيطر عليها في سوريا والعراق منذ بدأ التحالف الدولي ضد تنظيم داعش والذي يضم أكثر من ٦٠ دولة بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ضرباته الجوية في سوريا والعراق، وقياساً على ذلك فإن الضربات الجوية الروسية قد تضعف القوة القتالية لتنظيم داعش ومعارضة السورية وتجبرهم على التراجع التكتيكي وإزالة الضغط على مناطق سيطرة النظام وتعزيز المكاسب الجزئية له.

غير أنه من الصعب وفقاً للتقرير عودة السيطرة الكاملة للنظام على المناطق الشمالية والشرقية في سوريا، وذلك لمجموعة من الأسباب تتمثل في:

١- تمكن المعارضة بمرور الوقت من تسجيل تقدم حقيقي في مجالات التنظيم والإدارة والكفاءة والتكتيكات القتالية، فضلاً عن وجود مؤسسات عسكرية كبيرة لديها القدرة على التحرك المشترك وتوجيه قواتها نحو مواقع محددة بدلاً من الميليشيات الصغيرة التي تسيطر على مناطق متفرقة.

٢- تميز كيانات قوات المعارضة بالمناطق الشمالية والشرقية بالقدرة على اتخاذ أفعال مشتركة ونجاحها في تصدير صورة للرأي العام العالمي بأنها تضم معارضين سوريين فقط وليس مقاتلين أجانب ويقاقلون للدفع عن أراضيهم وإسقاط النظام، وذلك على النقيض من تنظيم داعش وجهة النصرة اللذان يضمان مقاتلين أجانب ويقاقلان استناداً إلى البعد الديني.

٣- الصعوبات الاقتصادية التي تواجهها روسيا بسبب العقوبات الاقتصادية الغربية المفروضة عليها بسبب الأزمة الأوكرانية وانخفاض أسعار البترول العالمية ستحد من قدرة روسيا على مواصلة عملياتها العسكرية في سوريا واستمرار دعمها الكبير للنظام السوري.

يذكر التقرير أن تجربة التحالف الدولي ضد داعش في سوريا والعراق تشير إلى عدم فاعلية الضربات الجوية وحدها في تحقيق انتصارات على الأرض، ولكن النموذج الأنجح في هذا الصدد هو الاعتماد على مقاتلي حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي السوري كقوة على الأرض مدعومة من قبل

الطائرات الأمريكية وقد نجح الحزب في استعادة مناطق بشمال سوريا من سيطرة تنظيم داعش، غير أن هذا النموذج من الصعب تكراره مع قوات النظام السوري حيث أنها في وضع دفاعي أكثر منه هجومي.

يرى التقرير أن التدخل الروسي لدعم النظام في سوريا له تداعيات سلبية على النظام السوري نفسه، حيث أن النظام أصبح أكثر اعتماداً على الدعم الخارجي سواء من قبل روسيا أو من حزب الله أو إيران، وقد عمل التدخل الروسي على موازنة النفوذ الإيراني في سوريا بعدما كانت إيران قد سيطرت تقريباً على الدولة السورية. ومع ذلك فمن المستبعد حدوث تنافس إيراني روسي في سوريا بل أن التدخل الروسي ساهم في تخفيف العبء على إيران في سوريا.

### تداعيات التحركات الروسية على السياسة التركية في سوريا:

تصنف روسيا كافة الجماعات المسلحة التي تقاوت نظام بشار الأسد بما فيها المنظمات المدعومة من تركيا على أنها تنظيمات إرهابية وهو ما يتناقض مع السياسة التركية التي تصنف تنظيم داعش وجمهية النصرة فقط على انهما تنظيمين إرهابيين في حين تعتبر جماعات المعارضة المسلحة الأخرى التي تقاوت نظام بشار الأسد قوى شرعية وتقدم الدعم لها في مواجهة نظام الأسد، كما وجهت روسيا ضربات للجماعات المسلحة الموالية لتركيا في سوريا في مناطق اللاذقية وحلب وإدلب وحماة وحمص وهو ما حول سوريا لساحة مواجهة مباشرة بين النظام السوري المدعوم من روسيا وجماعات المعارضة المسلحة المدعومة من تركيا.

تقدم روسيا أيضاً دعماً لأكراد سوريا ممثلين في حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي بدعوى أن مقاتلي الحزب يلعبون دوراً في قتال تنظيم داعش في سوريا، وهو ما تعتبره تركيا تهديداً لمنها القومي حيث تصنف تركيا الحزب كمنظمة إرهابية تمثل امتداداً لحزب العمال الكردستاني الي يخوض مواجهات عسكرية مع الدولة التركية، وقد خلف ذلك حالة من العداء بين تركيا وروسيا.

عرقل التدخل الروسي في سوريا تنفيذ المشروع التركي الهادف لإقامة منطقة أمنة في الشمال السوري بين منطقتي أعزاز وجرابلس يحظر فيها دخول طيران النظام السوري وتكون نقطة انطلاق للمعارضة السورية المسلحة، خاصة عقب انشاء روسيا قاعدة عسكرية في اللاذقية بالقرب من المنطقة الأمنة التي تعتمز تركيا إقامتها، وقد أعلنت روسيا معارضتها لإنشاء تلك المنطقة، ويرى التقرير أنه في حال

إصرار تركيا على إقامة المنطقة الآمنة فإن ذلك قد يؤدي لمواجهة عسكرية تركية روسية محتملة فوق الأراضي السورية.

### خاتمة:

جاء التدخل الروسي في سوريا بالأساس لحماية الأمن القومي الروسي من تهديدات المقاتلين الذي ينتمون لمنطقة القوقاز ويقاثلون بجانب التنظيمات المتطرفة في سوريا استناداً لاستراتيجية التصدي لتلك الجماعات وإنهاء خطرهم خارج حدودها والحيلولة دون عودتهم لبلادهم مرة أخرى، فضلاً عن إيجاد منطقة نفوذ لها بمنطقة الشرق الأوسط بصفة عامة وشرق المتوسط خاصة.

قوض التدخل الروسي في سوريا الأهداف التركية التي ترغب في تنفيذها بسوريا والتي يأتي على رأسها إسقاط نظام الرئيس السوري بشار الأسد واستبداله بحكومة إسلامية موالية لها، بالإضافة إلى الحد من القدرات القتالية لجماعات المعارضة المسلحة الموالية لها، وتزايد صعوبة إقامة المنطقة الآمنة في شمال سوريا.

ستركز الاستراتيجية التركية في سوريا خلال الفترة المقبلة على زيادة دعمها العسكري النوعي لقوات المعارضة السورية وحشد الدعم الأوروبي والأمريكي خلف مشروعها الهادف لإقامة منطقة آمنة في شمال سوريا بحجة أن تلك المنطقة أحد الحلول الأساسية لحل أزمة اللاجئين في أوروبا ومنع انتقال الإرهابيين بين سوريا وتركيا وما يمثله ذلك من تهديدات لأمن الدول الأوروبية.